

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٣٨ : خ ١ - رمضان ١ (شهر القرآن) ، خ ٢ - التلاوة.

لضيّلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩١-٣-١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتني لو لا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلني إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً لربوبيته ، وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر . اللهم صل وسلّم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، واللطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قادر ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأندخنا برحمتك في عبادك الصالحين .

تلاوة القرآن الكريم :

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا شك أن موضوع الحديث عن رمضان ، هذا الشّهر الكريم ، الذي جعله الله بشكل أو باخر دورة مكثفة لهذا المؤمن ، فالصيام يتوجه إلى تقوية النفس، غيرته أن النفس تداعُّ ما هو محبب إليها تقرباً إلى الله عز وجل ، فائدته أن تزيد معرفة المؤمن بالله تعالى ، وأن يزيد إقباله عليه ، وأن تزيد صلاته به ، دورة مكثفة جعلها الله في كل عام مرّة ، في ثلاثة أيام .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ماذا كان يفعل النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الشّهر الكريم ؟ كان يكثر من تلاوة القرآن ، كان يكثر من الإنفاق ، لذلك لابد من تخصيص خطبة عن تلاوة القرآن الكريم ، وخطبة عن الإنفاق في سبيل الله ، وقد ألف الخطباء الحديث عن موقعة بدر ، وعن ليلة القدر في رمضان .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ كتاب الله تعالى الذي بين أيدينا معجزة النبي عليه الصلاة والسلام ، معجزة دائمة ، ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾

[سورة فاطر : ٢٩]

جاء الفعل مضارعاً ، والفعل المضارع يفيد الاستمرار ، المتابعة ، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَا هُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوْفِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ * وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِنْهِ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

[سورة فاطر : ٢٩ - ٣٢]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ آية دقيقة جداً ، تلاوة كتاب الله ، تلاوة كتاب الله عبادة ، تلاوة كتاب الله علم ، تلاوة كتاب الله اتصال ، تلاوة كتاب الله إقبال ، تلاوة كتاب الله نور في القلب ، تلاوة كتاب الله حضور الملائكة ، والنبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث كثيرة حدثنا عن تلاوة القرآن . عن أبي سعيد الخديري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يقول رب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ،

وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه))

[الترمذى عن أبي سعيد الخديري]

شُغْلَ بِحِفْظِهِ ، شُغْلَ بِحُضُورِ مَجَالِسِ الْعِلْمِ وَتَعْلِمِهِ ، شُغْلَ بِتِلَاوَتِهِ وَتَجْوِيدِهِ ، شُغْلَ بِفَهْمِهِ وَتَطْبِيقِهِ ، شُغْلَ بِدِرَاسَةِ عُلُومِهِ ، الْمُطْلَقُ عَلَى إِطْلَاقِهِ ، مَنْ شُغْلُهُ الْقُرْآنُ عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطَى السَّائِلِينَ ، لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا اسْتَقَامَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَجَلَّ فِي مُصَلَّاهِ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى لِيَلًا وَنَهَارًا ، مَا نَالَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَكْثَرِ مِمَّا يَنْالُهُ مِنْ شُغْلِهِ الْقُرْآنُ عَنْ مَسْأَلَتِي . عن أبي سعيد الخديري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((يقول رب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين
وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه))

[الترمذى عن أبي سعيد الخديري]

تلاوة كتاب الله تعلماً و تعبدًا :

أَتُحِبُّ أَنْ تَقْرَأَ كِتَابًا؟ أَتُحِبُّ أَنْ تُطَالِعَ مُؤْلِفًا؟ أَتُحِبُّ أَنْ تَقْتَنِي مَجَدًا؟ أَتُحِبُّ أَنْ تَنْتَصِلَ مَعَ الْكِتَابِ؟ هَلْ مِنْ كِتَابٍ أَعْظَمُ مِنْ كِلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ إِنَّ النِّسْبَةَ بَيْنَ كِتَابِ الْفُهْمِ بَشَرٍ وَبَيْنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هِيَ النِّسْبَةُ نَفْسُهَا بَيْنَ خَالِقِ الْكَوْنِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ ، لَذَلِكَ يَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ :

((فَضْلُ كِلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ))

[الترمذى عن أبي سعيد]

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، كِتَابُ اللَّهِ أَيَّهَا الْأَخْوَةُ يَجِدُ أَنْ يُتْلَى تِلَاؤَ تَبَدُّلٍ ، وَيَجِدُ أَنْ يُتْلَى تِلَاؤَ تَعْلُمٍ ، وَلَا يَبْدُدُ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا ، يَجِدُ أَنْ تِلَاؤَهُ تِلَاؤَ تَبَدُّلٍ ، يَجِدُ أَنْ تَكُونَ لَكَ حِصَّةً يُوْمَيَّةً مِنْ كِلَامِ اللَّهِ تَعَالَى ، إِذَا تَلَوْتَ الْقُرْآنَ دَخَلْتَ فِي الْأَنْسِ ، دَخَلْتَ فِي حَالَاتٍ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا مَنْ ذَاقَهَا ،

قذفَ الله في قلبك النور ، وتبجي على قلبك ، ما من كلامٍ أعظمُ عند الله من كلامه ، وما ردَّ العباد إلى الله كلاماً أحبَّ إليه من كلامه ، إذا أردت أن تناجي ربك ، إذا أردت أن تخاطبَ ربَّك ، إذا أردت أن تدعُ ربَّك ، ما من كلامٍ أحبَّ إلى الله تعالى من أن ترُدَّ إليه كلامه ، من أن تقرأ كلامه .

الحرص على تلاوة القرآن الكريم وإلزام النفس به :

أيها الأخوة الأكارم ؛ روى البيهقي عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قوله :
((لو أنْ قلوبنا طَهُرَتْ مَا شِبَعْتَ مِنْ كَلَامِ رَبِّنَا))

[البيهقي عن عثمان بن عفان]

مقاييسٌ دقيقٌ يضعه سيدنا عثمان بين أيدينا ، كلما طهر القلب أنسَ بكلامِ ربِّه ، وكلما وقع القلب في بعد عن الله ، كلما انحرفَ السُّلوكُ بَعْدَ المرءِ عن كلامِ الله ، يريده أن يقرأه فلا يجدُ سروراً ، ولا يجدُ انطلاقاً ، ولا يجدُ انتشراً ، ولا يجدُ سروراً ، ولا يجدُ انطلاقاً ، ولا يجدُ انتشراً ، عدم انتشراً ، أو عدم انطلاقه ، أو عدم سروره دليل زيفه ، هذا كلامُ سيدنا عثمان رضي الله عنه وأرضاه ، لو أنْ قلوبنا طَهُرَتْ مَا شِبَعْتَ مِنْ كلامِ ربِّنَا .

وإنني لأكرهُ أن يأتيَ عليَّ يومٌ لا أنظرُ فيه في المصحف ، لذلك علماء القلوب قالوا : الأوراد يجبُ أن تُقضى ، بمعنى أنك إذا ألمت نفسكَ أن تقرأ شيئاً من كلام الله تعالى كلَّ يومٍ ، ولسببٍ قاهرٍ ما تمكنَتَ أن تقرأ ، هذه الحصة من كلام الله عز وجل ، يجبُ أن تُقضى ظهراً ، أو عصراً ، أو مغرباً ، أو عشاءً ، أو قبل النوم ، إذا فاتكَ ما ينبغي أن تقرأ صباحاً من كلام الله تعالى يجبُ أن تُقضيه ، وحكمةُ القضاء باللغة جدًا ، إذا ألمت نفسكَ أن تُقضى ما فاتكَ من كلام الله عز وجل معنى ذلك أنك تحرصُ على تلاوته في الوقت المناسب ، قال تعالى :

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَسْهُودًا﴾

[سورة الإسراء : ٧٨]

بعضهم قال : قرآن الفجر هو القرآن الذي يُتلى في صلاة الفجر ، وبعضهم قال : هو القرآن الذي تقرؤه قبل صلاة الفجر ، أو بعد صلاة الفجر .

التقرب إلى الله بكلامه لأن من لا يقرأ القرآن كالبيت الخرب :

أيها الأخوة الأكارم ؛ إنك كما يقول عليه الصلاة والسلام : لن تتقاربَ إلى الله بشيءٍ أحبَّ إليه من كلامه ، وقد روى الإمام الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنه :

((إنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِّنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرْبِ))

[الترمذى عن ابن عباس]

كنتُ من قبْلٍ مَثُلْتُ لَكُمْ مِثْلًا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ وِعَاءٌ ، وَعَلَيْهِ صِنْبُورٌ فِي أَسْفَلِ هَذَا الْوِعَاءِ ، فَالْمَادَةُ الَّتِي تُلْقَى فِي هَذَا الْوِعَاءِ يَعْطِيكَ إِيَّاهَا الصِنْبُورَ السَّفْلِيَّ ، فَمَنْ مَلَأَ نَفْسَهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ ، مَنْ مَلَأَ نَفْسَهُ مِنْ حِدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَنْ مَلَأَ نَفْسَهُ مِنْ كَمَالَاتِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ، مَنْ مَلَأَ نَفْسَهُ مِنْ هَذِهِ الْمَعْنَى الْقَدِيسَيَّةِ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُنْطِقَ لَنْ يُنْطِقَ إِلَّا بِالْخَيْرِ ، لَنْ يُنْطِقَ إِلَّا بِالْعَدْلِ ، لَنْ يُنْطِقَ إِلَّا بِالْكَمَالِ ، فَمَنْ مَلَأَ جُبْنَتَهُ ، أَوْ وِعَاءَهُ مِنْ سَقَطَاتِ النَّاسِ ، وَمِنْ اِنْهَافَتِهِمْ ، وَمِنْ قَصْصَهُمُ الْمُبَذَّلَةِ ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمُ الْفَنِيَّةِ السَّاقِطَةِ ، مِنْ مَلَأَ وِعَاءَهُ بِهَذِهِ الْمَوَادِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَحَدَّثَ فَلَنْ يُنْضَحَ إِلَّا بِمَا فِيهِ .

يَا أَيُّهَا الْأَخْوَةِ الْمُؤْمِنُونَ :

((إنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرْبِ))

[الترمذني عن ابن عباس]

وَالْبَيْهَقِيُّ رَوَى عَنِ النَّعْمَانَ بْنِ الْبَشِيرِ :

((أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادَةً أَمْتَى تَلَوةَ الْقُرْآنِ))

[البيهقي عن النعمان بن بشير]

فِيهِ عِلْمٌ ، فِيهِ حِكْمَةٌ ، فِيهِ خُلُقٌ ، فِيهِ إِشَارَاتٌ ، فِيهِ أَوْامِرٌ ، فِيهِ نُواهٌ ، فِيهِ وَعْدٌ ، فِيهِ وَعِيدٌ ، فِيهِ بِشَارَةٌ ، فِيهِ إِنْذَارٌ ، فِيهِ إِخْبَارٌ ، فِيهِ عَظَةٌ ، فِيهِ قِصَّةٌ ، فِيهِ مَثَلٌ ، كَلَامٌ خَالِقُ الْكَوْنِ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ ، وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، بَلْ إِنَّ الْإِمَامَ الْبَخَارِيَّ ، وَالْإِمَامَ مُسْلِمَ رَحْمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى اَنْفَقَا عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ :

((الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكَرِامِ الْبَرَّةِ))

[متفق عليه عن عائشة]

السَّقَرَةُ أَيُّ الْمَلَائِكَةِ ، الْكَرِامُ الْبَرَّةُ .

يَا أَيُّهَا الشَّبَابُ ، هَلْ مَنْ شُغْلٌ يَفْوَقُ فِي أَهْمَىِهِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ؟ مَا الَّذِي يَقْعُدُ بِالشَّابِّ الْمُؤْمِنِ عَنِ حَفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ؟ مَا الَّذِي يَقْعُدُ بِالشَّابِّ الْمُؤْمِنِ عَنْ تَلَوِّتِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ؟ مَا الَّذِي يَقْعُدُ بِالشَّابِّ الْمُؤْمِنِ عَنْ فَهْمِهِ ؟ مَا الَّذِي يَقْعُدُ بِالشَّابِّ الْمُؤْمِنِ عَنْ تَطْبِيقِهِ ؟ هَلْ فِي الْحَيَاةِ كِتَابٌ أَخْطَرُ مِنْهُ ؟ هَلْ فِي الْحَيَاةِ كِتَابٌ أَفْعَمُ مِنْهُ ؟ هَلْ فِي الْحَيَاةِ كِتَابٌ لَهُ عَلَاقَةٌ بِمَصَبِّرِكَ الدِّينِيِّ وَالْأُخْرَوِيِّ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟

تَلَوِّةُ الْقُرْآنِ تُعْطِي الْمُؤْمِنَ شُحْنَةً مِنَ النُّورِ وَالتَّفَاؤُلُ :

وَعَنْ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِذَا أَحَبْتُمْ حُكْمَمَ الْأَمَمِ فَلِيَقْرَأُوا الْقُرْآنَ))

[الدِّيلِمِيُّ عَنْ أَنْسٍ]

تَلَوِّةُ الْقُرْآنِ تُعْطِي الْمُؤْمِنَ شُحْنَةً مِنَ النُّورِ ، شُحْنَةً مِنَ التَّفَاؤُلِ ، قَدْ يُعَانِي مِنْ مُشَكَّلَةً ، قَدْ يُعَانِي مِنْ صِرَاعٍ ، قَدْ يَقْفَأُ مُتَحِيرًا أَمَمَ قَضِيَّةً ، قَدْ يُطْرَحُ عَلَيْهِ سُؤَالٌ عَوِيْصٌ ، إِذَا تَلَأَ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

وَجْلٌ يَجُدُّ جَوَابَهُ ، قَدْ تَغْيِيمُ نَفْسَهُ ، قَدْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ التَّشَاؤُمُ ، قَدْ تَسْوُدَّ الطَّرِيقُ أَمَامَهُ ، قَدْ يَرِى
الْمُسْتَقْبَلُ ظَلَمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا قَرَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ انْقَشَعَتْ هَذِهِ الظَّلَمَاتُ وَزَالَ ذَلِكُ
الْكَرْبُ ، وَانْحَسَرَ ذَلِكُ الْهَمُّ ، وَشَعَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ مَعَ رَبِّهِ ، وَأَنَّ رَبَّهُ مَعَهُ ، وَأَنَّ بِيَدِ رَبِّهِ كُلُّ شَيْءٍ
، وَأَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَخَاضَعٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، أَلَا يَكْفِي أَنْ تَقْرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى :

﴿بِيَدِ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الفتح : ١٠]

فَيَزُولُ عَنْكُمْ كُلُّ هَمٍّ ، وَكُلُّ قَلْقٍ ، وَكُلُّ حُزْنٍ ، أَلَا يَكْفِي أَنْ تَقْرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى :
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَبْشِرُوهُمْ
بِالْجِنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

[سورة فصلت : ٣٠]

أَلَا يَكْفِي أَنْ تَقْرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى :
 ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنَّنَا جَعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ
وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

[سورة الجاثية : ٢١]

أَلَا يَكْفِي أَنْ تَقْرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى :
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[سورة الحج : ٣٨]

أَلَا يَكْفِي أَنْ تَقْرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى :
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًا﴾

[سورة مریم : ٩٦]

أَلَا يَكْفِي أَنْ تَقْرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى :
 ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَعَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ
الْمُحْضَرِينَ﴾

[سورة القصص : ٦١]

مَاذَا تَفْعَلُ فِي نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ؟ أَيْةٌ طَمَانِيَّةٌ تَبَثُّهَا ؟ وَأَيْ رَضَا تُشَيِّعُهُ ؟ وَأَيْ ثَقَةٌ تَوْجِدُهَا ؟
يَا أَيُّهَا الْأَخْوَةِ الْمُؤْمِنُونَ ؛ يَنْبَغِي أَنْ نَتَلُوَ كَلَامَ اللَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ، عَلَى مَدِى شَهُورِ السَّنَةِ كُلَّهَا ، وَلَكِنْ
جَاءَ هَذَا الشَّهْرُ الْفَضِيلُ لِيَكُونَ دَوْرَةً مَكْتَفَةً لِلْمُؤْمِنِ يَزْدَادُ فِيهَا عَزْمُهُ ، وَتَعْلُوُ هَمَّتُهُ ، وَيَنْطَلِقُ إِلَى
رَبِّهِ ، وَيَتَفَرَّغُ مِنْ مَشَاغِلِ الدُّنْيَا ، فَلَعْلَّ اللَّهَ سَبَحَنَهُ وَتَعَالَى يَرْحَمُهُ فِي هَذَا الشَّهْرِ رَحْمَةً يَسْتَمِرُّ بِهَا
بَقِيَّةَ الْعَامِ .

من أحب القرآن أحب الله ورسوله :

أيها الأخوة الأكارم ؛ روى الإمام الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((من أحب أن يحبه الله ورسوله فلينظر - أي فليدقق - فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله))

[الطبراني عن ابن مسعود]

إنَّ أحبَّتَ القرآن وعشْتَ معه ، وبالمُناسبة أَيَّها الأخوة ؛ إنَّ القرآن يطرُد الغناء ، لا يجتمع القرآن والغناء في جَوْفِ إنسان ، فإنَّ حلَّ فيه الغناء ، الغناء أَبْعَدَ القرآن ، وإنَّ حلَّ فيه القرآن ، القرآن أَبْعَدَ الغناء ، هذا ما قاله العلماء الأجلاء في تاريخ حياتهم ، القرآن يطرُد الغناء ، والغناء يُبعِّدُ القرآن :

((من أحب أن يحبه الله ورسوله فلينظر - أي فليدقق - فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله))

[الطبراني عن ابن مسعود]

وقد رُويَ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((اقرؤوا القرآن ، فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن))

[السيوطى عن ابن مسعود]

وعذاب القلب أَيَّها الأخوة أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ من عذاب الجسد ، هذه الْهُمُومُ إِذَا استحوذَتْ على القلب ، هذه السُّوْدَاوِيَّة ، هذا التشاوُمُ ، هذا الْهَلَعُ ، هذا الشُّعُورُ بالقُهْرِ ، هذا الشُّعُورُ بالشَّفَاءِ ، هي أمراضٌ وبيلة تدفعُ أَنَاسًا إلى الانتحار ، هؤلاء الذين ينتحرُون ما الذي دفعهم إلى الانتحار ؟ إنَّها الآلام النَّفْسِيَّة ، إِنَّه ضيقُ القلب ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((اقرؤوا القرآن ، فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن))

[السيوطى عن ابن مسعود]

وإنَّ هذا القرآن مأدبة الله ، تُدعى إليها ، مأدبة تُدعى إليها ، فمن دخلَ فيه فهو آمن ، ومن أحبَّ القرآن فليس بمتشر .

ثمرات قراءة القرآن :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه كلَّها أحاديثٌ صحتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومهما توَهَّمْتَ أنك إذا قرأتَ القرآن أو تلوته أو حفظته سوف تجني هذه الثمار ، فإنَّ الثمار التي يمكن أن تجنيها أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِمَّا توَهَّمْتَ ، إنَّ القرآن يعلم الإنسان حُسْنَ الْخُلُقِ ، إنَّ القرآن يعلمك البيان ، إنَّ القرآن يُطلقُ لسانك ، إنَّ القرآن يُنورُ قلبك ، إنَّ القرآن يُطمئنُ نفسك .

يا أليها الأخوة الأكارم ؛ روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّمَ يقول :

((إِنَّ الْبَيْتَ إِذَا قُرِئَ فِيهِ الْقُرْآنُ حَضَرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

هؤلاء الذين يُعانون من وحشيةٍ في بيوتهم ، من خصومات ، من بغضاء ، ومن نكَّ ، من عداوات .

((إِنَّ الْبَيْتَ إِذَا قُرِئَ فِيهِ الْقُرْآنُ حَضَرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَنَكَّبَتْ عَنْهُ الشَّيَاطِينُ ، وَاتَّسَعَ عَلَى أَهْلِهِ ، وَكُثُرُ خَيْرٍ ، وَقَلْ شَرَّهُ ، وَإِنَّ الْبَيْتَ إِذَا لَمْ يُقْرَأْ فِيهِ الْقُرْآنُ حَضَرَتْهُ الشَّيَاطِينُ ، وَتَنَكَّبَتْ عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَضَاقَ عَلَى أَهْلِهِ ، وَقَلْ خَيْرُهُ ، وَكُثُرُ شَرُّهُ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

أليها الأخوة الأكارم ؛ هذه كلَّها ثمارٌ ملموسة ، لابدَّ من حصةٍ تقرأ فيها القرآن كلَّ يوم ، بل إنَّك في رمضان الحَدَّ الأدنى أن تقرأ القرآن كلَّه في رمضان ، كلَّ يوم تقرأ جزءاً ، لا قراءة درجٍ بل قراءة تدبُّر ، قفْ عند بعض الأوامر ، وبعض النواهي ، عند بعض الآيات الكونية، عند بعض القوانين الثابتة ، عند بعض السنَّن ، قفْ عندها ، تأمَّلها ، اسْأَل نفسك هذا السؤال ؟ أين أنا منها ؟ هل أنت مطيقٌ لها ؟ هل أنت في مُستواها ؟

أليها الأخوة الأكارم ؛ البيت الذي يقرأ فيه القرآن يتراهى لأهل السماء كما تتراهى النجوم لأهل الأرض .

قراءة القرآن تملأ القلب حُبَّاً لله عز وجل ورضاً بقضائه وإقبالاً عليه :

والحديث الأخير الذي يتحدث عن القرآن ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ :

((إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدَ ، قَيْلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا جَلَوْهَا ؟ قَالَ : تَلَوْةُ
الْقُرْآنِ))

[الخطيب عن ابن عمر]

الأمور منتظمة ، والدخلُ وفيه ، والعلاقات ناجحة ، لكن هناك ضيقاً في القلب ، هناك ضجر ، هناك ملل ، هناك تبرُّم ، هناك شُعور بالرتابة في الحياة ، إنَّ هذه القلوب تصدأ كمَا يصدأ الحديد ، قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا جَلَوْهَا ؟ قَالَ : تَلَوْةُ الْقُرْآنِ ، يبْدُو أنَّ كثرة ذكر الموت تقطع الإنسان عن شهوات الدنيا ، وعن آماله الخيالية ، أما تلَوْةُ القرآن فتملأُ هذا القلب حُبَّاً لله عز وجل ، ورضاً بقضائه ، وإقبالاً عليه ، فكأنَّ ذِكرَ الموت تخليةً لهذه النفس ، وتلَوْةُ القرآن تخليةً .

أيها الأخوة الأكارم ؛ الله سبحانه وتعالى وصفَ عباده المؤمنين فقال :
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَا هُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾

[سورة فاطر : ٢٩]

تجارة رابحة ، رابحة أيها ربِّي ، قال تعالى :
﴿فَيُوَفِّيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾

[سورة النساء : ١٧٣]

ماذا يعني قوله تعالى : ويزيدهم من فضله ؟ قال بعض العلماء ، وقد ذكروا هذا الحديث الشريف ، وفسّروا به هذه الآية ، إذا دخل أهل الجنة يقول تبارك وتعالى : أتريدون شيئاً أزيدكم فيه ؟ فيقولون : يا ربنا ، ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تجنا من النار ؟ قال : فيكشف لهم الحجاب - أي عن حضرة الله عز وجل - فما أعطوا شيئاً أحبت إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى ، وتلا قوله تعالى :

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَرِيَادَةً﴾

[سورة يونس: ٢٦]

وزيادة هي رؤية الله عز وجل ، بهذه الآية :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَا هُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

[سورة فاطر : ٣٠-٢٩]

معنى ويزيدهم من فضله أي يسمح لهم أن ينظروا إلى وجهه الكريم ، قال تعالى :
﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

[سورة القيامة : ٢٣-٢٢]

حسابوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن تزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنأخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هوها وتمنى على الله الأماني ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وقف أمة سيدنا محمد من القرآن ثلاثة مواقف :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوْفِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ * وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِيَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِنَّ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

[سورة فاطر : ٢٩-٣٢]

الله سبحانه وتعالى اصطفى من بين الأمم كلها هذه الأمة وخصّها بهذا الكتاب ، ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، من هذه للتبيّض ، فمنهم أمة سيدنا محمد وقفوا من هذا الكتاب ثلاثة مواقف ، فمنهم ظالم لنفسه أورثنا هذه الأمة الكتاب بلغتهم ، وقد ظلموا أنفسهم به ، ومنهم مقتصد ، قال تعالى :

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِنَّ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

[سورة فاطر : ٣٢]

ماذا فسر الإمام النووي هذه الآية ؟ قال : الظالم هو المخلط ، ترك أمراً محتماً في القرآن ، و فعل نهياً محرماً ، هكذا فسر الإمام النووي ، وخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، هو من أمة سيدنا محمد ، ولكن له معاصر وانحرافات ، له تجاوزات في علاقاته الاجتماعية ، وفي دخله ، وفي إتفاقه ، فمنهم ظالم لنفسه من هذه الأمة التي اصطفاها الله بهذا الكتاب ، قال : ومنهم مقتصد ، والمقتصد هو من أدى الواجبات ، وترك المنهيّات فيما بيته وبين الخالق ، وفيما بيته وبين المخلوق ، هؤلاء من أصحاب اليمين ، هؤلاء الناجون ، هذه زمرة ثانية ، الأمر أمر ، والنهيّ نهيّ ، الواجب واجب ، والحرام حرام ، والمكروره مكروره ، والماباح مباح ، طبق الأوامر وترك المنهيّات ، فمنهم ظالم لنفسه هو المخلط ، منتبه إلى أمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن له أعمالاً لا ترضي الله عز وجل ، يصلّي ويأكل مالاً حراماً ، يصلّي ويطلق بصره في الطرقات ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، فسر الإمام النووي السابق بالخيرات بأنه الذي أدى جميع الأوامر ، وانتهى عن جميع النواهي ، وفعل النواوف ، النواوف من فضائل الأعمال ، وفضائل العبادات ، مع تطبيق جميع الأوامر وترك جميع النواهي ، قال تعالى :

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِنَّ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

[سورة فاطر : ٣٢]

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اصْطَفَى هَذِهِ الْأُمَّةَ ، وَأَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِلُغَتِهَا ، فَمَنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ طَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

[سورة فاطر : ٣٢]

قال بعض العلماء هذه الآية هي آية القراء .

أليها الأخوة الأكارم ؛ نحن على أبواب رمضان ، ولا بد من تلاوة القرآن ، ولا بد من فهم القرآن ، ولا بد من تطبيق القرآن ، ولا بد من تدبر القرآن ، ولعل الله سبحانه وتعالى ينفعنا بالقرآن ، ويجعله ربيع قلوبنا ، وسداد أمرنا ، وزوال همنا .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعمنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحبتنا ، واجعله الوراثتنا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا سلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبغضبك عن سواك ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن رواعتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمنا سخياً رخيماً وسائر بلاد المسلمين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيده ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قادر ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين